**مفهوم النثر في التراث النقدي**

استحوذ الشعر على اهتمام النقاد أكثر من النثر، لكن مع تغير الحياة توسع النثر وتطورت مجالاته ، وهذا الذي جعل النقاد يبحثون في موضوعاته وأغراضه ، ويضعون له مقاييس نقدية لضمان جودته .

**النثر في اللغة**  النثر: نثرك الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسكر وكذلك نثر الحبِّ وقد نثره ينثره وينثره نثرا ونثارا ونثره فانتثر وتناثر ، والنثارة ما تناثر منه . والنثارة : فتاة ما يتناثر حوالي الخوان من الخبز ونحو ذلك . ورجل نثر بيّنُ النثر ومنثر كلاهما : الكلام ".

**تعريف النثر في الاصطلاح** وهو : **"** فن قولي ، يقابل الشعر ، مقابلة تضاد لا تناقض ، فلكل منهما صفاته الخاصة به ، ومع هذا ، فهما يتفقان في أشياء ويختلفان في أشياء ".

**نشأة النثر الفني وتطوره**

مما لا شك فيه ، أن لعرب الجاهلية نثرا فنيا ، لكن ما وصلنا من نتاج النثر قليلا بالمقارنة مع الشعر ، ما يدل على تعرضه للضياع لأسباب أهمها شيوع الأمية وقلة التدوين ولذلك قيل :" ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ؛ فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره ".

ومما أنتجوه من نثر ، سجع الكهان ، والخطب ومنها على سبيل المثال خطبة قس بن ساعدة ، وخطب وفود العرب عند كسرى التي كانوا يهدفون من ورائها إعطاء صورة عن شمائل العرب وطباعهم وعاداتهم .

وبمجيء الإسلام ونزول القرآن ، تطور النثر العربي ، وانتقل بذلك من مرحلة المشافهة إلى مرحلة الكتابة ومن الأجناس النثرية التي شهدت هذا النشاط الرسالة التي اعتمدت في خدمة الدعوة الإسلامية ، فقد كانت تفتح بالبسملة وتوشْح بآيات القرآن والأمثال وامتازت ببعدها عن التكلف . " كما كان لظهور الإسلام إيذانا بتطور واسع في الخطابة ". حيث اتخذها النبي عليه الصلاة والسلام وسيلة للدعوة ، واستطاعت هذه الخطب أن تقضي على خطب الجاهلية وما فيها من عصبيات ومنافرات ومفاخرات .

وفي ظل تطور الأحداث وكثرة الصراعات السياسية ، وتشجيع الخلفاء للأدب ، التي شهدها العصرالأموي فقد تطور النثر، وخلْف الكثير من الرسائل والخطب الدينية منها والسياسية، والتي تميزت من الناحية الفنية بدقة اختيار الألفاظ لحرصها على المعنى .

وفي العصر العباسي ، عرف النثر أساليب مختلفة ومتنوعة في الكتابة؛ كطريقة ابن المقفع الذي يعتمد على أسلوب الإيجاز ، وطريقة الجاحظ الذي يعتمد على التحليل والازدواج ، وطريقة عبد الحميد الكاتب التي يعتمد فيها على الزخرفة والتنميق ، ثم طريقة القاضي الفاضل والتي تعتمد على الزخرفة والصنعة إلى درجة الركاكة.

وفي هذا العصر اشتهر كتْاب الدواوين وأصبحوا يكوْنون " مدرسة نثرية كبيرة "، حيث تميزوا بالبلاغة والفصاحة واعتلوا مناصب عليا في الدولة .

وهكذا أصبح للنثر شأن كبير بحيث غدا ينافس الشعر في طرحه للموضوعات التي كانت حكرا على الشعراء ، فقد أصبح يستوعب مستجدات العصر وقضاياه وذلك لتحرره من الوزن والقافية .

أما في ما يتعلق بالنقد ، فقد كانت للعرب آراء في النثر " بدأت أولية ارتجالية منذ العصر الجاهلي ثم تطور هذا النقد وتبلور في مؤلفات خاصة " ، نذكر منها كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، والصناعتين لأبي هلال العسكري ، وإحكام صنعة الكلام للكلاعي ، والبرهان في وجوه البيان لابن وهب .

**موضوعات النثر الفني**

للنثر الفني موضوعات لا يكاد يخلو منها وتتمثل في الخطابة والترسل ، والمجادلة أو المناظرة ، وبذلك يتحدد أن لكل جنس نثري موضوعاته وأغراضه المختلفة في الجاهلية والإسلام .

**أغراض النثر ومقاييسه النقدية**

للنثر أغراضه التي تختلف باختلاف العصر ، وقد وضع النقاد لكل غرض شروطا ومقاييس نقدية يميزون بها جيد النثر من رديئه.

**الخطابة**

ظهرت الخطابة في العصر الجاهلي وكانت لها أغراض تتمثل في خدمة القبيلة اجتماعيا ، فكانت تدور حول المفاخرات والحروب ، وفي ذلك يقول قدامة : " فقد كان من أغراضه في الجاهلية إصلاح ذات البين ، وإطفاء نار الحرب ، وحمالة الدماء والتشييد للملك والتأكيد للعهد ، وفي عقد الأملاك ، وفي الإشادة بالمناقب"، أما بعد ظهور الإسلام فقد ارتبطت الخطابة بالدين والسياسة والوعظ وهذا يدل على ارتباطها بالواقع الذي تعيش فيه .

اشترط النقاد معايير في الخطبة لا سيما الدينية منها ، أن تفتتح بالتحميد ، وتوشْح بآيات من القرآن أو الحديث والشعر ، ولذلك وصفوا كل خطبة لا يذكر فيها الله في بداياتها بالبتراء ، وكل خطبة لا توشح بآيات القرآن أو الأمثال بالشوهاء .

ومن شروط الخطبة ، أن يكون الخطيب عارفا بمواضيع القول ، وأوقاته ، ومعرفة أحوال المخاطبين ، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة ، فيكون المعنى قاصرا, ولا الإطالة في موضع الإيجاز فيكون كلامه مملا ، ولا يخاطب العامة بكلام الخاصة ، وبذلك تتحقق بلاغة الخطابة حين " يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيّد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة . ويكون في قوامه فضل التصرف في كل طبقة ".

لم يتوقف النقاد عند الخطبة ، بل حظي الخطيب المتكلم بعنايتهم ذلك أن وظيفته هي التأثير في المستمع ، ومن هنا اشترطوا فيه رباطة الجأش ، وسعة الثقافة ، وجهارة الصوت ، وفي ذلك يقول الجاحظ : " وأعيب عندهم دقة الصوت وضيق مخرجه ، وضعف قوته أن يعتري الخطيب البهر والارتعاش ، والرعدة والعرق ".

**الرسالة**

تعد جنسا نثريا كتابيا ظهرت نتيجة التطور الحضاري ، وتكون الرسالة في المكاتبات والاعتذارات والمعاتبات ، والبلاغة في الرسالة تشبه البلاغة في الخطابة ، والفارق بينهما يكمن هو أن الخطبة مسموعة ، والرسالة مقروءة ، فإذا اتفقت الرسالة والخطابة فنيا فكذلك تتفقان في الأغراض من حيث خدمة الدين والدولة , فقد كانت في بداية نشأتها رسائل دينية ثم مع تطور العصر واختلاف الظروف أصبحت هناك رسائل سياسية ومذهبية واجتماعية .

**من شروطها ومعاييرها**

- مراعاة مستوى المتلقي للرسالة في المنطق والفهم ، وفي هذا يوضح العسكري قائلا : " وأول ما ينبغي أن تستعمله في كتابتك ...مكاتبة كل فريق منهم على مقدار طبقتهم وقوتهم في المنطق ".

- يشترط الأسلوب الأنجع للموضوع فمثلا على كاتب الرسالة في الشكر أن يوجز ولا يسهب ويطنب لأن " إسهاب التابع في الشكر إذا رجع إلى خصوصية نوع من الإبرام والتثقيل ".

كما ينبغي على الكاتب في الاستعطاف " ألاّ يكثر من شكاية الحال ورقتها ، واستيلاء الخصاصة فيها ، فإن ذلك يجمع إلى الإبرام والأضجار شكاية الرئيس لسوء حاله ". ويشترط النقاد الإيجاز إذا كانت الرسالة موجهة إلى خاصة الناس والإطناب إذا كانت موجهة إلى العامة. كما عني النقاد بالرسالة اهتموا أيضا بكاتبها وثقافته .

ومما تقدم نستنتج أن النقد أعطى أهمية للنثر وذلك من خلال المعايير الفنية التي وضعها للكاتب والخطيب والموضوع والمتلقي وكذا الأساليب المناسبة لكل موضوع , كما اهتم أيضا بموضوعات النثر المختلفة التي مع تطور العصر أصبحت تنافس الشعر في موضوعاته ذلك لقدرته على استيعاب واقع المجتمعات ، لتحرره من قيود الوزن والقافية وما تفرضانه من ضرورات أسلوبية .